مداواة الغنم بزيت الكاز

كتب بعضهم الى جريدة الزراعة الاميركية يقول انهُ يرشُّ الفراخ والدجاج بقليل من زيت الكاز (البتر وليوم) فينتشر الزيت حالاً بين ريشها ويميت ما عليها من النمس . ويعيد ذلك ثلاث مرات او اربعًا في السنة . هذا ولا بدَّ من تقليل الزيت جدًّا لئلاَّ يضر بالدجاج ولا بدَّ ايضًا من الاحتراس من النار لانهُ سريع الاشتعال كما لا يخفى

صوف الغنم

الصوف الذي على جلد الخروف الواحد يختلف نوعهُ باختلاف مكانهِ من جلد الخروف فاجودهُ ما كان على ظهرهِ فوق شاكلتيهِ ويليهُ في الجودة ما كان على شاكلتيهِ من كتفيهِ الى فخذيهِ وبعد هذا ما كان على عنقهِ وحول البتهِ واقلهُ جودة ما كان على صدرهِ وبطنهِ واسفل عنقهِ . والصوف امَّا سَبِط منسدل وهو غير جيد واما كثير التجعُّد وهو غير جيد ايضًا واما قليل التجعد كانهُ متموج تموُّجًا وهو اجود انواع الصوف وامتنها

المناظرة والمراسلة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيبًا في المعارف وانهاضًا للهمم وتحبيذًا للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما ياتي :

(١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيمًا كان المعترف باغلاطهِ اعظم

(٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستخار على المطوَّلة

ردٌّ على المقتطف

الى حضرة اصحاب جريدة المقتطف الكرام الاجلاَّء

اما بعدُ فقد قبلت بالرضوان والسرور والشكر النسخة التي تكرمتم بارسالها اليَّ من جريدتكم الغراء النفيسة (جزء ٤ من هذه السنة) . واكثر من كل ذلك اشكركم على قبولكم النسخة التي كنت تشرفت بارسالها اليكم من مؤلفي الاخير الوضيع المسمَّى بكتاب النصارى . وتنازلكم الى استحسانهِ ومدحهِ فوق حدّهِ

ومن بعد اداء هذه الفريضة التي تفضلتم عليَّ انتدبتم لي منهين ان اراجع معكم شيئًا ما اعترضتم بهِ على كتيبي المذكور وذلك من باب المباحثة العلميَّة التي غرضها بيان الحق ونصره

لا من باب المنافسة والمباراة — فاقول باذنكم :

(١) قلتم جزاكم الله خيرًا وجه ٣٥٣ سطر ٩ من تحت " وفي قوله لسمعان انت تدعى صفا الذي تفسيرهُ بطرس " . باذنكم اقول : انكم تريدون هنا ان تبيّنوا ان المسيح تكلم بالسريانية وانما الغرض . ولكن كيف فاتكم ان صفا ليست لفظة سريانية وان اللفظة السريانية التي تلفّظ بها المسيح انما هي كيفا

(٢) قلتم زادكم المولى علمًا هناك سطر ٦ من تحت : ان كلام المسيح مع بيلاطس كان في اللغة اليونانية — اقول لست ادري ما الدليل على ذلك . لان عامّة اليهود ايضًا تكلمت مع بيلاطس (يوحنا ١٨ : ٣٠ و ١٩ : ٧ الخ) ومن يستنتج من ذلك ان عامّة اليهود كانت تتكلم باليونانية — وما الذي يمنع من ان نقول ان بيلاطس ولو انهُ كان في الاصل لاتيني الجنس كان يعرف لغة اليهود الذين كان هو واليًا عليهم . وان كان بيلاطس لم يكلم اليهود بلغتهم فالارجح انهُ كلمهم بلغته التي هي لغة حكومته وهي اللاتينية لا باليونانية

(٣) وجه ٣٥٤ تحت الوسط تنكرون عليَّ قولي بان مخترعي الكتابة ليسوا اليونيين لكن السريانيون — اقول اتذنوا لي بلطفكم ان اراجع معكم الشهود الذين ذكرتموهم لتبيّنوا ان اليونيين هم الذين اخترعوا الكتابة . ذكرتم اولاً سنخنياثون الصوري المؤرخ . الغالب انكم لما استشهدتم هذا الشاهد لم تطالعوا ما قال في الشان الذي نحن في صددهِ لانكم لو فعلتم ذلك لأبيتم ان تتخذوهُ شاهدًا لدعواكم . وذلك انهُ اذا عدلنا عن ان افضل العلماء المحققين واشهرهم ينكرون صحة النبذ المنسوبة الى سنخنياثون هذا والمنتقطة من مؤلفات اوسابيوس وغيره ويحكمون بكونها مصنوعة فمن طالع الموضع الذي فيهِ سنخنياثون يتكلم عن اصل الكتابة يرى ان هذا المؤلف يسرد هناك قصصًا خرافية عن كون العالم واصل وجودهِ وتناسل الآلهة الوثنية وينسب الى هؤلاء الآلهة اختراع الصنائع والمعارف البشرية حتى يقول "من هذين ولد امون وماج وهاعلّما الناس ان يبنوا القرى ويربّوا المواشي . ومنها ولد مبصور وصيدق وهاوجدا استعمال الملح . ومن مبصور نشأ تاوت وهو الذي اخترع كتابة الحروف الأولى ويسميهِ المصريون ثوار والاسكندريون ثاوث واليونانيون هرمس الخ" أمثل هذه الخرافات يقبلهُ عاقل لبيان حقيقة تاريخية كالتي نحن في صددها — ثم ذكرتم بلينيوس وكرتيوس ولوقان ويوسيبيوس وزعمتم انهم يؤيدون شهادة سنخنياثون — اما بلينيوس فهاكم ما قالهُ عن اختراع الكتابة "اني اعتقد على كل حال بان الاثوريين (اي السريان الشرقيين) وضعوا الكتابة لكن من الناس من يزعم انها اختُرعت عند المصريين من مركور ومنهم من يزعم ان السريانيين اخترعوها لكن لا شك ان قدماً ادخلها الى بلاد اليونانيين"

انظروا كم يبعد بليتوس من زعمكم . وكيفما كان الامر فان بليتوس عاش في القرن الاول للمسيح فلا يمكن ان يكون بنفسه شاهداً على امر حدث قبله باكثر من اثني سنة . وقس على ذلك اوقان الذي عاش في تلك المدة . واما كريتوس الذي عاش ايضاً في نحو ذلك الزمان فلم يقطع بكون الفونيين هم مخترعوا الكتابة اذ تردد بين ان الفونيين علّموا الكتابة وبين انهم تعلّموها . واما يوسيفوس اليهودي الذي اشتهر في ذلك العصر ايضاً فلم اجد في مؤلفاته التي عندي منها نسخة انكليزية شيئاً مما اشرتم اليه ولا رأيت غيره استشهد بهذا المعنى . وعلى كل حال فشهادته هي كشهادة الذين تقدم ذكرهم — ولا شك انه لو نفعت في هذه المسألة شهادة الغير المعاصرين لكانت شهادة هيرودتس المشهور الذي هو اول مؤرخ عند اليونانيين وعاش في القرن الخامس قبل المسيح انفع من شهادة كل الذين ذكرتموهم . فهذا المؤرخ في كلامه على الفونيين نعم ذكر انهم ادخلوا الكتابة في بلاد اليونان واسهب في ذلك لكن لم ينقل قط ان الفونيين هم واضعوا الكتابة ولنا حق ان نستنتج من ذلك انه في عصر هيرودتس لم يكن الناس يعلمون من هو مخترع الكتابة . فان كان في ذلك العصر لم يُعرف ذلك فكيف امكن ان يُعرف بعد خمسة قرون . ومن الواضح الذي لا يُنكر ان الذي حمل المؤلفين اللاتينيين واليونانيين في الاعصار المتأخرة ان ينسبوا اختراع الكتابة الى الفونيين انما هو الخبر الشائع بان الفونيين هم الذين علموا الكتابة اليونانيين . وشتان ما بين هذا وبين هذا — فاذا كنتم زادكم الله علماً وعزّاً لم تورِدوا لاثبات زعمكم وردّ مذهبي سوى هؤلاء الشهود ولا تكلفتم الردّ على البراهين الفيلولجية التي عليها بنيت مذهبي فقد ثبت مذهبي على قوّته — وحسبي ان اذكركم اني لست اول من زعم بان الكتابة هي من مخترعات السريانيين لكن قد سبقني في هذا القول كثيرون من المتقدمين اكتفي بذكر بليتوس المستشهد الساعة واقليمس الاسكندري واوسابيوس بمفيلس ودبودورس الصقلي الذي هو اقدم كل هؤلاء . ومن المتأخرين ريلاند ومنتر ومجسانيوس المشهور وكوب وهفمن . واكثر هؤلاء نسبوا اختراع الكتابة الى السريان الشرقيين الذين يُقال لهم الكلدان

(٤) وعندي برهان آخر غير ما شرحته في كتاب القصارى لبيان مذهبي وهو انّ الذين علّموا اليونانيين الكتابة كانوا من الجنس الآرامي اعني السرياني . وذلك انّ حرفين من الابجدية السامية اسماها عند اليونانيين يوافقان لفظ السريانيين دون لفظ العبرانيين . فان الحرف الثالث من هذه الابجدية اسمه عند العبرانيين جيمل (بلفظ المصريين) واما السريان فيقولون جامل (كذالك) وبالف الاطلاق جَمْلا وذلك يوافق جمّا (كذلك) اليونانيّ . والحرف الخامس عشر من الابجدية يسميه العبرانيون سامك (بالتركيخ) واما اليونانيون فيقولون سِكما وهو اقرب

الى الاسم السرياني وهو سَمكَة — فيحق لنا ان نحكم باليقين ان الذين علّموا اليونانيين الابجدية السامية لم يكونوا يتكلمون بالعبرانية التي هي توأم الفونية لكن بالسريانية او هي الآرامية

(٥) هلمّ بنا الآن الى مراجعة ما تفضّلتم بوجوده من السهو الذي سميتموهُ قليلاً وفحصهِ بالاحترام الواجب لمقام علمكم الشريف — قلتم أيّد المولى عزمكم انهُ ما قلتهُ عن يوسف المؤرّخ يؤخذ اني زعمتُ ان هذا المصنّف عاش قبل زمان المسيح — أجيب : لا انكر ان الذي لا يعتمد النبصُّر فيما كتبهُ يتّخذ الامر كما قلتم . لكن مَنْ يعتبر ما قلتهُ في وجه ٤ سطر ١٧ وهو ان "يوسف الاصغر . . . عاش للقرن الاول للمسيح" يفهم ان قولي في وجه ١٣ "وتواريخ يوسف المؤرخ" مع ما قلتهُ قُبَيل هذه الكلمات بمعناهُ انهُ "فُقد من الكتب المسطورة الخ الكتب اللاتينية وايضاً فُقدت تواريخ يوسف المؤرّخ" . وناهيكم انهُ ان قال الواحد مثلاً قرأتُ دواوين شعراء العرب الاخطل والمتنبي وزهير وديوان سعدي فهل يُستنتج من ذلك ان سعدي هو من شعراء العرب

(٦) وجه ٢٥٥ ايضاً في الوسط انتقدتم عليّ قولي ان العامة تكتب اليوم فينيكيين . اجيب : ان مرادي بالعامّة الجمهور لا ما يقابل الخاصّة . ولو أخذ قولي ايضاً بمعنى ما يخالف الخاصّة لم يكن سبيل للاعتراض لاني لم استثن الخاصّة . فلو قال الواحد مثلاً الملائكة يسبّحون الله هل يترتّب من ذلك ان الناس لا يسبّحونهُ — اما يحقّ لي الآن ان اعتب عليكم بالاحترام الواجب لكم انكم قرأتم في كتابي ما لم اكتب فيهِ — واما لفظة الفينيكيين فأذنوا لي ان اعلمكم اني انما تحاشيتها واستعملتُ بدلها لفظة الفونيّين لاني اراها مخالفة للقياس — ان هذا الاسم هو يوناني ولا نعرفهُ الاّ من كتب اليونانيين وكتب اللاتينيين والسريانيين الذين اقتدوا باليونانيين كما تقدم . ولا شكّ ان الحروف الاصليّة من هذا الاسم هي فون . والدليل على ذلك تسمية اللاتينيين الجمل الذي نحن في صدده بلفظة پون . وان كان هذا الاسم هو سامي الاصل كما يترجّح الظن فلا بدّ من انهُ كان حاصلاً من الفاء والواو والنون . وذلك ان الذقنغ اليوناني (٥٤) كثيراً ما يقوم مقام مدّ الواو وهكذا يلفظهُ السريان في الالفاظ المستعارة من اللغة اليونانية . فيتضح من ذلك ان الكاف في فونيكي هي زائدة وانما في الاصل هي كاف النسبة كما هي عادة اللغة اليونانية . ومما يؤكد ذلك ان هذه الكاف قد تسقط مثلاً في التأنيث اذ يقال φοίνισσα . واذ كان حق للعرب ان يتخذوا هذا الاسم الاعجمي على حروفهِ الاصلية فيجب ان يقولوا فون ويقولوا في المنسوب اليهِ فونيّ — ثم من فضلكم ان اذنتم لي احبُّ ان اعلم مَنْ هم "كتبة العرب الاشهرون" الذين كتبوا فينيكيين او فينيقيين . وليس كلامي عن اهل العصر المتريّن بالعلوم الافرنجية او السريانية او المتقدمين بهؤلاء

(٧) اما ما اعترضتم عليهِ من سقوطي في ما نبَّهت على ضبطهِ في تصحيح لفظة الرومانيين فباذنكم ليس الامر كما تصورتم . اني عمدًا صحَّحت في موضع لفظة الروماني بالروميّ كما تقتضي القاعدة العربية وعمدًا استعملت في مواضع اخرى لفظة الروماني وخالفت القاعدة لدفع الالتباس كما افدتم . وهل ترون عيبًا ان يبيّن الواحد ما يقتضيهِ القياس ثم يخالفهُ في الاستعمال ليدفع الالتباس اولئلَّا يظهر للناس متصنّعًا كما علَّم ادباء العرب وفصحاؤهم انفسهم

(٨) اما اسم قدما فانما حكمت فيهِ انهُ سرياني لانهُ مختوم بالف الاطلاق على ما يظهر ومفتوح القاف وساكن الدال . واما في اللغة العبرانية التي هي نفس اللغة الفونية تقريبًا كما قرَّر العلماء المحقّقون فهذا الاسم هو بكسر القاف والدال . وختم الاسماء بالف الاطلاق لا يعرفهُ من اللغات السامية الاَّ السريانية

لكن مع هذا كلهِ فاني اقرُّ بفضلكم وطول باعكم في العلم ايها الجهابذة الكرماء . واشهد على نفسي اني لم اقصد في ما كتبتهُ في هذه الرسالة حطَّ شيء من قدركم ومقامكم . واسال الله الذي بعنايتهِ ارتقيتم الى هذه المنزلة من العلم ان يؤيّدكم ويمكنكم لتؤتوا الجمهور منافع حقيقية وفوائد جوهرية والسلام

الشاكر لكم اقليميس
بوسف داود مطران دمشق
على السريان

في دمشق في ١٢ ك ٢ سنة ١٨٨٨

جواب المقتطف

اننا لم ننتقد كتاب النصارى الاَّ لاظهار حقيقتهِ ولم نتحمل مشقة انتقادهِ الاَّ لاننا وجدناهُ "جديرًا بالاعتبار والمراجعة خليقًا بالوصف والنقد لنعم فوائدهُ وتقرُّر مسائلهُ" ولم نحسب ان سيادة مؤلفهِ المفضال يعارضنا في ما قلناهُ فيهِ قبل انجاز وعدنا بشرح أهمّ المسائل التي خالفناهُ فيها ولم ننتظر قط انهُ يفرّع على كلامنا المجمل هناك مسائل جديدة يتسع بها نطاق البحث حتى يضيق عنهُ المقام ولا سيما لانها لا تقوّي لهُ حجةً ولا تضعف لنا حجةً . هذا وانّا مع الاحترام اللائق لسيادتهِ والشكر الجزيل لهُ على اعتبارهِ لانتقادنا واشغالنا نستسمحهُ بايراد العجالة التالية على وجه الاختصار

(١) ان مسئلة صنا وكينا مسئلة فرعية ونحن لما اوردنا عبارة الانجيل اتبعنا النسخة العربيّة التي بين ايدينا على جاري عادتنا ولم نحسب ان في ذلك مظنَّة بمزج العربيّة بالسريانيّة اما الآن فنرى انهُ كان الأولى ذكر اللفظة السريانية لدفع المظنة وسنفعل ذلك في طبعة تالية فنكتبها كذا "صنا (وفي الاصل كينا) الخ" مع الشكر لسيادتهِ على تنبيهنا الى ذلك

(٣) ان مسئلة اللغة التي تكلم بها المسيح مع بيلاطس مسئلة فرعية ايضاً . ولا يسع سيادة المطران ان ينكر ان الولاة الرومانيين كانوا يتكلمون اللغة اليونانية وان اللغة اليونانية كانت شائعة في الجليل حيث تربّى المسيح واللغة اللاتينية غير شائعة . واللغة السريانية لغة محكومين صهيونيين لا يحمل مشقة تعلمها من الحكام الاجانب الاّ من كان له شغف بتعلم اللغات كما هو معروف في زماننا . ويظهر من عبارة الانجيل ان بيلاطس تكلم مع المسيح على انفراد ولم يكن بينهما ترجمان فذلك كلهِ يستدل ان كلامهما كان باليونانية وقد كان يمكننا الافاضة في هذا البحث لتعزيز حكمنا ولكننا لا نرى لهُ دخلاً في الموضوع الذي بين ايدينا

(٤) ان مسئلة مستنبطي الحروف الهجائية قد وعدنا باشباع الكلام عليها وانجزنا وعدنا فنرجو من سيادتهِ ان ينعم نظرهُ في المقالة التي عنوانها "مستنبط حروف الهجاء" في هذا الجزء حيث اوردنا من الادلة ما نظنهُ اقوى من الادلة التي اقامها سيادتهُ على صحة مذهبهِ . ولو تمهل في الرد علينا لاغنى نفسهُ عن مراجعتنا في امور كثيرة افصحنا عن مرادنا منها هناك ولذلك لا حاجة الى مجاوبتهِ عليها هنا . غير انهُ اجزل الله ثوابهُ قد فرّع ايضاً على هذه المسألة فروعاً نضطر ان ننظر فيها يسيراً فنقول : اوّلاً ان بعض ما كتبهُ سخنياثون كان معروفاً عندنا وقد صار مشهوراً لدى الخاصة والعامة من منذ ما نشر صديقنا الفاضل جرجي افندي يني كتابهُ في تاريخ سوريا . ومهما يكن في اقوال سخنياثون من الخرافات فلا يسع سيادتهُ ان ينكر ان كبار علماء اوربا يدرسون الآن هذه الخرافات ويعتبرونها اشد الاعتبار لانها تشفُّ عن حقائق جليلة . هذه اشعار اوميروس وهي مشحونة بالخرافات وقد كذّب فيها الناس زماناً طويلاً قد صارت مرشداً الى تاريخ الاقدمين ودليلاً للباحث شليمن الى اكتشاف مدافن اغاممنون وغيرهِ من ابطال تروادهِ . بل ان قدموس الذي يبني سيادتهُ دليلهُ عليهِ ورد خبرهُ اوّلاً في خرافةٍ من خرافات اليونانيين فلم يقدح ذلك عند سيادتهِ في الحقيقة التاريخية . وثانياً ان استشهادنا ببلينيوس في عبارتنا المجملة كان بالنظر الى ما يؤيد رواية سخنياثون كما كان يتضح لسيادتهِ بعد التفصيل لو تمهل حتى اطّلع على مقالة "مستنبط حروف الهجاء" حيث يرى اننا ادرجنا نفس عبارة بلينيوس اللاتينية التي اورد سيادتهُ ترجمتها واعتبرنا الاشارة التي فيها الى ان البعض يقولون ان السوريين (اي الفينيقيين) اخترعوا حروف الهجاء لا انهُ هو يقول كذلك . وثالثاً ان يوسيفوس اليهودي الذي ذكرهُ سيادتهُ وانعب نفسهُ بمراجعة مؤلفاتهِ لم نذكرهُ بل ذكرنا يوسيبيوس . وبقية ما ذُكر في هذا الفصل يتضح الجواب عليهِ مما اوردناهُ في المقالة المشار اليها آنفاً

وهنا نستأذن سيادتهُ بايضاح امرٍ لا نراهُ واضحاً في القصارى ولا في هذه الرسالة وهو انهُ

يوجد فرق شاسع بين الكتابة بغير الحروف الهجائية والكتابة بالحروف الهجائية. فما يقام دليلاً على ان الكلدانيين سبقوا الى استنباط الكتابة بالقلم السفيني لا يكون دليلاً على انهم سبقوا الى استنباط الكتابة بالحروف الهجائية اذ ان علامات القلم السفيني ليست حروفاً هجائية كما ان علامات الهيروغليف المصري وعلامات مشجّر الصين ليست حروفاً هجائية

(٤) لا ينكر ان الدليل الجديد الذي اقامهُ سيادتهُ على ان السريانيين علموا اليونانيين حروف الهجاء مداولهُ ممكن. ولكنهُ ضعيف ويحتمل مداولات أُخرى خلافهُ ولذلك لا نزال نعتقد ان الوجه الذي اخترناهُ هو الارجح

(٥) ان ما نبّهنا اليهِ من السهو لم نعدّهُ خطأً من سيادتهِ ولم نذكرهُ الاَّ قياماً بشروط الانتقاد اذ قد حسبنا كتابهُ في الطبقة الاولى بين الكتب العلميَّة. ولم يدُر في خلدنا انهُ يتنصَّل منهُ اذ قد بيَّن بهذا التنصُّل ان ما حسبناهُ سهواً لم يكن سهواً بل انهُ كتبهُ كذلك عن قصد وروية. اي انهُ اذا قال قائل قرأتُ دواوين شعراء العرب ديوان الاخطل وديوان المتنبي وديوان زهير وديوان سعدي ثم قال وقرأتُ دواوين شعراء الفرس لم يلزمنا ان نفهم ان سعدي عربيٌّ وهذا من الغرابة بمكان

(٦) ان العامَّة خلاف الخاصَّة لغةً واصطلاحاً "والمراد لا يدفع الابراد" فمعنى ان تُبدَّل هذه الكلمة في الطبعة الثانية من النصارى بكلمة الجمهور وهو المراد. وتخصيص سيادتهِ العامَّة بالذكر يؤخذ منهُ ان الخاصَّة لا تكتب كذلك والاَّ وقع في كلامهِ العيب الذي نجلُّهُ عنهُ وهذا كلهُ حدث من السهو في وضع كلمة العامَّة بدل كلمة الجمهور. اما كلمة فينيقيين فكلامنا انما كان من جهة استعمال الخاصَّة لها. ومع ذلك لو خُيِّرنا لاخترنا بقاء القاف على حذفها وذلك اولاً لان اصل الكلمة مجهول. وثانياً لان هذه القاف او الكاف قد ثبتت في المؤنث كما في الاصحاح السابع من انجيل مرقس في الاصل اليوناني القديم فان النسخة التي لدينا تقول ان المرأة كانت Φοινίκισσα باثبات الكاف كما ان الترجمة اليونانية الحديثة تحذفها. وثالثاً لانها ثبتت في النسبة مع وجود كاف النسبة ومن ذلك قول اليونان القدماء ψεῦσμα Φοινικικόν ورابعاً لان الكتبة اليونانيين واللاتينيين ولنا اسوة بهم يبقون الكاف في النعت فيقولون فينيكيكوس وفينيتشيوس. وخامساً التمييز بين الفينيقيين والقرطاجنيين الذين يسميهم الافرنج فونيين او پونيين. وسادساً لئلاَّ يظهر الكاتب المخالف للجمهور "متصنعاً" كما اشار سيادتهُ في الاعتذار عن الرومانيين. اما "الكتبة الاشهرون" الذين رأيناهم يكتبون هذه الكلمة باثبات القاف فنهم سيادتهُ في كتاب اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية. ولم نشترط انهم غير "متربين

بالعلوم الافرنجية او السريانية"

(٧) ان ضبط سيادتهِ كلمة رومين في المتن والتنبيه على صحة ذلك في الشرح يدلّ على انهُ هو القياس ثم مخالفتهُ لهذا القياس في مكان آخر بلا تنبيه وجريهُ على اصطلاح "العامّة" الذي لم يسمع عن العرب الفصحاء بحمل عند القارئ على السهو فحسبناهُ كذلك ولم نلهُ عليهِ لا ظاهرًا ولا باطنًا وحاشا لنا ان نقول شيئًا وننوي آخر وعندنا ان السقوط في هذا السهو خيرٌ من تعمُّد هذه المخالفة بلا التنبيه على الغاية منها في الكتاب بل ان متابعة جمهور الكتّاب في ذلك اولى على جاري متابعتهم في كتابة كلمة سريانيين وكلدانيين وعبرانيين وهلمَّ جرًّا

(٨) ان ما اوردهُ سيادتهُ على ان قدمس هو من السريانية "قدما" لا نرى فيهِ مقنعًا فاللفظة اليونانية هي قدمس Kάδμος فيحتمل ان تكون في السامية مختومةً بالميم كما يحتمل ان تكون مختومة بالالف ولا عبرة بفتح القاف وسكون الدال في اليونانية وكسرها (او الارجح فتحها بالامالة) في العبرانية لان مثل هذا الفرق بين الفينيقية والعبرانية موجود كما نبهنا عليهِ في مقالة "مستنبط حروف الهجاء" ولا ينتظر ان اللفظ الفينيقي يوافق العبراني في جميع حركاتهِ وسكناتهِ. وفوق ذلك فوقوع التحريف في الالفاظ بعد نقلها من لغةٍ الى أُخرى اشهر من ان يذكر. فغاية ما يؤخذ من اللفظة اليونانية هو انها ساميَّة الاصل مادَّتها "قدم" بمعنى الشرق وهو اولى من الاولية لاستقامة المعنى

هذا وانا نختم هذه الاسطر بالشكر الجزيل لسيادتهِ ونؤكّد لهُ اننا نجلُّ الرسالة التي تنبهنا الى خطاء ارتكبناهُ اكثر من الرسالة التي تمدحنا على صوابٍ اتيناهُ ولسنا ممَّن يحسب ان قدر الناس يُحطُّ بالاعتراض على اقوالهم . ويا حبذا لو كانت كل الرسائل التي تَرِد علينا مثل رسالة سيادتهِ في العلم واللطف

نجاح العرب بتحسين لغتهم

حضرة منشئ المقتطف الفاضلين

نشرتُ في الجزء الثاني من المقتطف الاغر مقالة تحت هذا العنوان ردَّدت في مستهلّها شكوى الوطن من فقرهِ الشديد الى الكتبة الاعلام. ارباب الاقلام. وأنهم على كثرة المدارس والدارسين لا يزالون قلائل. يُعدُّون بالانامل. وتخلَّصتُ الى الاناضة في الثناء على جناب الرياضي المحقق والكاتب البارع نعمة افندي شديد يافث شاكرًا لهُ على ما تفضَّل بهِ فسبق فابداهُ. على حرِّيةٍ

في افكاره ونباهة في قصده ونزاهة في معناهُ — شكرًا لم اتوقَّع عليهِ تشديد النكير وان لم اطمع برجوع صداهُ

ثم استطردتُ الى الاستئذان منهُ في الاستفهام عمَّا أُشكل عليَّ من كلامهِ وانكار ما رأيتهُ مردودًا من آرائهِ بلسان الرجاء ودالَّة الصداقة. وصوت الاستعطاف على قدر الطاقة. وانا في ذلك كلهِ — كما تشهد لي مقالتي ويحكم بهِ المطالع المنصف — متناهٍ في الرقة باخلاص النقد. معتب في اعترافي لهُ بالفضل من قبل ومن بعد. مسترشدٌ مستفيد. بعيدٌ (وان انهمتُ) عن النكير الشديد. قريبٌ من الامل باتحاد الرأي الامر الذي صرتُ عنهُ الآن ايَّ بعيد

"ما كلا يتمنى المرء يدركهُ تجري الرياحُ بما لا تشتهي السفنُ"

وفي ذيلها ذكرتُ الموانع القائمة في وجه من يريد اكتساب ملكة التعبير وأشرتُ الى الاسباب الحقيقية التي توصلتُ اليها بالفحص والتدقيق. وعرفتها بعد الاختبار والتحقيق. ولبثتُ بعدها انتظر ما يراهُ حضرة مناظري الصديق. ولاسيما في هذه الاسباب التي هي وحدها عندي الجوهر. واما سواها فعَرَض لا يُذكر. سواء كان استفسارًا عن خافٍ لم يظهر. او انكارًا لحكم غير مقرَّر. حتى جاء الجزء الرابع من المقتطف فاطلعتُ لهُ فيهِ على جملةٍ جاءت في معالجة رفع الاستار ضافية الذيل. وطاولة شغب الافكار طافحة الكيل. ووراءها مقالة لجناب اللبارع الاديب امين افندي خير الله تحذَّرت فيها الاسجاع ولا تحذُّر السبل وبعد ان تدبرتها بعين التروِّي والامعان تنازعتني عواطف متضادة متباعدة. وتجاذبتني اميال قائمة بالاختلاف وقاعدة. فرأيتُ ان أُجيب حضرة مناظري جوابًا واحدًا لا اتجاوزهُ الى ثانٍ. وأُغير كلام نصير نظرًا تنطبق من بعدهِ على ما نالهُ وسيقولهُ اجنابي. اما الجواب فهو ان مفاد كلامي السابق بصعوبة امتلاك الملكة وتعذُّرها على الطلبة ليس ما اراد ان يفهمهُ جناب نعمة افندي ويجعلهُ لازمًا لذلك الكلام بل هو ان ملكة التعبير متعذرة الامتلاك على الطلبة الذين يتربَّون في بيوت ويخرجون الى طلب العلم على معلمين في مدارس حالتها الحاضرة (اي البيوت والمعلمين والمدارس) كما ذكرتُ وستبقى متعذرة الامتلاك ما دامت البيوت والمعلمين والمدارس والكتب على حالها. وهذا ظاهر من مقالتي فما بالهُ فهم منهُ أنَّ تعذُّر امتلاكها "على الطلبة في هذا العصر بداعي فساد لغة العامة" كما اورد في مقالتهِ. وانني لأتعجب كل العجب كيف تغاضى عن جميع الاسباب وتعلَّق بهذا السبب. أذهل عن كلامي المشبع على جهل الوالدين او تهاونهم وسهما عن تنويهي بتعصُّب رُؤساء مدارس الاجانب في بلادنا ضد اللغة العربية وفاتهُ تصريحي بعدم اهلية اكثر المعلمين وخيانة البعض وتهاون البعض الآخر. فانَّى فهم من كلامي ان تعذُّر امتلاكها هو بداعي فساد لغة العامة. نعم ذكرت

فساد لغة العامة في عرض الكلام عن عيوب البيوت الحاضرة ولكن لم احصر فيها سبب عدم امتلاك ملكة التعبير. وبناء عليه فالمتحصل عندهُ من كلامي ليس له اساس. واللازم منهُ مجهول في علم القياس. على انني ازيدهُ بياناً واقول انهُ من الاسباب المتقدمة (وليس من السبب المتقدم) اقتضى وسيقتضي للدهر والابد ان لا يكون لاحد هذه الملكة ما لم تُزَل تلك الاسباب فتزول مسبباتها وتعم الملكة لسان كل ناطق بالضاد. وهَبْ أنني تساهلتُ معهُ وفهمتُ فهمهُ ان فساد اللغة العامية كان السبب الوحيد لتعذُّر امتلاك ملكة التعبير ايظنني اخشى ان أُجاهر بما يتحصَّل عنهُ ويقتضي ويلزم. كلاَّ ثم كلاَّ لا ارهب القول ان ملكة التعبير فُقدت منذ ما استحكل الفساد في لغة العامة لانهما طرفا نقيض لا يجتمعان. وخطَّان متوازيان لا يلتقيان. وتحرير ذلك ان الذين يستشهد المناظر الكريم بامتلاكهم هذه الملكة بعد الجاهلية لا بدَّ انهم كانوا غير مصابين بداء فساد اللسان هذا. وان صحَّ النقل عن شيوع فساد اللغة العامية في عهدهم فهم ولا ريب كانوا بمعزل عن ملكة التعبير اللهمَّ اذا لم يكن قد توسَّع بالمراد بها الى حدٍّ يخرجها عن جادَّة موضوع بحثنا او عنى افراداً نوادر انقطعوا لتحصيلها وبذلوا عزيز العمر في تطلُّبها فاولئك فضلاً عن خروجهم عن موضوع بحثنا الذي هو شيوع الملكة في لسان الخاص والعام. لا يبنى عليهم حكم من الاحكام

وعلى ذلك فاعتقادي هذا لا" يستغرب صدورهُ عمَّن وقف نفسهُ لاكتساب هذه الملكة واكسابها لمعشر من الطلاَّب " ومطابقتهُ للواقع معقود عليها وان خالفها نطاق الاتفاق. ومجاورته للصحة ليس على انكارها من اشتاق. واركانهُ امتن من ان تقوى على تقويضها تواريخ العلماء الاعلام. او تستطيع نقضها المشاهدات الى آخر الايام. على انهُ كما قال عنهُ مضعف للهم وذلك ان كانت متعلقة باهداب المحال. وذاك اصروح اللغة ان كانت مشيدة على كثبان الرمال

وليعلم حضرة مناظري ان موانع تحسين اللغة انما تنحصر في الحالات الاربع التي اثبتُّها قبلها أو انكرها. وان غايتي في انتقاد طريقتهِ منحصرة للغيرة على الصالح العام غمطها او شكرها. فليعمل ان كان لا يبرح معتقداً بصلاحيتها على تعيبها واشاعتها واما انا فلا ازال على اعتقادي السابق ناشطاً للعمل بموجب ما ارتأيتهُ ممتثلاً لاشارتهِ التي ختم بها كلامهُ صادعاً بعيوب حالاتنا الحاضرة ولاسيما حالة البيوت بل المدارس بل المعلمين بل الطلاب. والله الموفق الى الصواب

واما النظر الذي أُعيرهُ لكلام حضرة امين افندي فهو انهُ اتهمني بعدة تهم. يتبرَّأ منها الحق وينكرها المنصف الحكم. فمنها قولهُ انني شددت على استاذهِ النكير فليت شعري ماذا عدَّهُ في مقالتي نكيراً شديداً بل أيُّ مناظر التزم مع مناظرهِ الرقة واللطف فوق الاطناب بالشكر والثناء مثلي مع استاذهِ وباية عين تُرى نظر الى المدح الكثير. فصحَّفهُ بشديد النكير.

ومنها انني ارتأيت "اسلوبًا بعيد الامكان . في كل مكان وزمان" (كذا) فهذا لا حاجة لي ان اجيبهُ عليهِ لانهُ قالهُ قبلما وقف على كلام استاذهِ الاخير في ردهِ عليَّ أمَّا الآن وقد اطلع عليهِ بتمامهِ فلا بد انهُ علم منهُ ان هذا الاسلوب الذي ارتأيتهُ مختص عن مقالهِ لاستاذهِ في "التدريس والمدارس" فلا يسعهُ بعد ان يقول عنهُ "بعيد الامكان . في كل مكان وزمان" والاَّ انقلب على استاذهِ مناظرًا يشدّد النكير . بينما ظنَّ ذاتهُ انهُ اكبر نصير

ومنها انهُ في اثناء محاماتهِ عن التضارب الذي وقع في كلام استاذهِ خالفهُ في تفسير المتابعة والتقليد الواردين في مقالتهِ الأُولى فان استاذهُ فسرهما بقولهِ "لفتنا تفنينا عن تقليد الاعاجم ومتابعتهم" وحضرة امين افندي فسرهما بقولهِ "الكاتب البليغ لا يحتاج ان يتعبَّد لاتباع القدماء (من العرب) في كتاباتهم عينًا بعينٍ"

ومنها قولهُ ان الطريقة التي ارتأيتها هي مما لا يمكن اجراؤهُ وهنا قطع الكلام واتحفنا من فوائدهِ التاريخية عن اهتمام العرب بلغتهم واجتماعهم في بيت الحرام وسوق عكاظ كما افادنا قُبيل ذلك عن اول كاتب بخطنا وعن مكتبة الصاحب ابن عبَّاد ثم عاد ووصل الكلام بقولهِ "لم تلبث لغتهم مع ذلك كلهِ على ما كانت عليهِ" وختمهُ بقولهِ ان ما اشترطتهُ ان لم يكن مستحيلاً فهولا يفي بالمرام

قلت من اين فهم عنا الله عنهُ ان طريقتي ما آلت اليهِ ضمان بقاء اللغة وحفظها من عوائل التغيير حتى اتى بما اتى وما بالهُ يصرخ في وادٍ وانا في وادٍ وايُّ شيء براهُ مستحيلاً في طريقتي ولا يفي بالمرام حتى صرَّح باستحالتهِ في البداءة ونوَّه بنقصانهِ في الختام . فانا اريد ان يبذل الآباء والامهات الجهد في تعويد الاولاد منذ الطفولية على النطق باللفظ الفصيح وان المعلمين في المدارس يخرجونهم في الاساليب البليغة ويصونون السنتهم عن الارتطام في اوحال اللغة العامية وان ارباب الاقلام اصحاب اليد الطولى يمدُّونهم بالكتب الموافقة لهذه الغاية المرافقة لتفاهم العقلية في التدرُّج والارتفاع في طبقات الانشاء وان اهل النفوذ والاقتدار يساعدون في تعميم المدارس الوطنية الحرَّة التي تكفل لآثار العربية وانوارها الاحياء والتألق بعد الانطماس والاحتجاب . ولصروح ملكة اللسان الفصحى الرسوخ بعد ما تداعت الى السقوط والخراب . فهذه الطريقة التي ارتأيتها وابشرهُ انها وقعت موقع الاستحسان عند السواد الاعظم من القراء . اما هو فان كان الى الآن يراها مستحيلة الامكان فليخبرنا عن عائقٍ يحول وطأتها ويبذل جهيداهُ في نشر طريقة استاذهِ حتى اذا نجحت وعمَّ استعمالها وانتشر احرز استاذهُ ثناء ابناء القرن التاسع عشر

اللاذقية اسعد داغر